

٢- محاورات أفلاطون

معذرة سقراط

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

أخذت أتمس الناس رجلاً فرجلاً وأنا عالم بما أتبره في الناس من غضب كنت آسفه وأخشاه، ولكنها ضرورة لم يكن عن الضي فيها محيص . إنها كلمة الله ، ويجب أن أظلمها من اختياري المكان الأسمى ، فقلت لنفسي : لا بد أن أحاور أديعاه العلم جيماً لعل أفهم ما قصدت إليه الراجية . وأقسم لكم أيها الأثينيون أغلظ القسم ^(١) - فواجبي أن أقول الحق - إنني قد انتهيت من البحث إلى ما رويت ، وقد صادفت فيمن هم دون هؤلاء مقاماً رجلاً بلغوا من الحكمة ما لم يبلغه هؤلاء . وسأقص عليكم حديث تجوال وما عانيت خلاله لتحقيق ما قالته الراجية . تركت رجال السياسة وقصدت إلى الشعراء ، سواء في ذلك شعراء المأساة أو الأغاني الحماسية أو ما شئت من صنوف الشعر ، وقلت في نفسي : إن الأمر لا ريب مكشوف لدى الشعراء فسأجدني بأزائمهم أشد جهلاً . ثم جمعت طائفة مختارة من أروع ما سطرت أقلامهم ، ورحلتها إليهم أستفسرهم إياها لعل أفيد عندهم شيئاً . أفأنتم مصدقون ما أقول ؟ واخجلتاه ! أكاد أستحي من القول لولا أني مضطر إليه ، فليس بينكم من لا يستطيع أن يقول في شعرهم أكثر مما قالوا هم وهم ناظموه . عندئذ أدركت على الفور أن الشعراء لا يصدر عن الشعر عن حكمة ، ولكنه ضرب من النبوغ والوحي . إنهم كالقديسين أو الأنبياء الذين ينطقون بالآيات الرامات وهم لا يفقهون معناها . هكذا رأيت الشعراء ، ورأيت فوق ذلك أنهم يعتقدون في أنفسهم الحكمة فيما لا يملكون فيه من الحكمة شيئاً استناداً إلى شاعريتهم القوية . نخلت الشعراء وقد علمت أني أرفع منهم مقاماً ، فقد فضلتني عليهم ما فضلتني على رجال السياسة

(١) في الأصل « أقسم لكم أيها الأثينيون بالكلب » وقد آثرنا هذا التعريف

وأخيراً قصدت إلى الصانع ، وكنت أظنني جاهلاً بما يتصل بالصناعة من علم ، وكنت أحسب أن لدى هؤلاء الصانع مجموعة طريقة من المعارف ، وقد ألفتني مصيباً فيما ظننت ، إذ كانوا يعلمون كثيراً مما كنت أجهله ، فكانوا في ذلك أحكم مني بلا ريب . ولكنني رأيت حتى مهرة الصانع قد تردوا فيما تردى فيه الشعراء من خطأ ، فتوهوا أنهم ما داموا أكفاء في صناعتهم فلا بد أن يكونوا ملينين بكل ضروب المعرفة السامية ، فذهبت سيئة التورود بحسنة الحكمة . لهذا سألت نفسي بالنيابة عن الراجية : أأنت أحب أن أظلم كما أنا ، لا أملك ما يملكون من علم ، ولا أكبو فيما كبوا فيه من خطأ ، أم كنت أحب أن أكون شبيهم في العلم والجهل على السواء ؟ فأجبت نفسي ، وأجبت الراجية : إنني خير منهم حالاً

وهذا الذي انتهيت إليه قد حرك العداوة في قلوب نقر من أشد الناس سوءاً وخطراً ، كما نرج حول طائفة من التكاوي الباطلة . ولقد جرى الناس على تسميتي بالحكيم إذ خيل إليهم - أنني ما فتئت أحمل الحكمة التي كانت تموزم . ولكن الله - أيها الأثينيون - هو الحكيم الأوحد ، ولعل الله حين أجرى على لسان راعيته ما نطقت به ، أراد أن الحكمة في البشر ضئيلة أو معدومة . إنه لم يتحدث قصداً عن سقراط ، إنما ضرب باسمي مثلاً ، كما أنما أراد أن يقول إن من يدرك كما أدرك سقراط أن حكيمته في حقيقة الأمر لا تساوي شيئاً ، يكون أحكم الناس . فإنا كارتوني أسير وفقاً لما يرسمه لي الله ، أفتش عن الحكمة في كل من يدعيها ، لا أبالي أكان من أبناء الوطن أم غريباً ، فإن لم أجده كما ادعى ، صارحته بجهله كما أمرتني الراجية . ولقد انصرفت إلى هذا الواجب انصرافاً لم يبق لي معه من الوقت ما أبذله فيما يشغل بال العامة ، أو أنفقه في شئوني الخاصة ؛ وهكذا كرسيت حياتي لله فعشت فقيراً معدماً

أما أن الشبان الأثرياء الذين لا تنصنهم شواغل الحياة كثيراً ، قد التفتوا حولي ، فهم قد جاءوا يسمعون من تلقاء أنفسهم ، ليشهدوا امتحان الأديعاه ؛ وكثيراً ما انطلقوا بدورهم يلتمسون أديعاه الحكمة ليجروا عليهم التجربة نفسها . وما أكثر ما

الناس الى ساحة القضاء مستترا وراء الحماة المصطنعة والاهتمام
التكلف بأمر لا تمنيه في شيء ؛ وسأقيم لكم الدليل على
صدق هذا

— اقرب منى يا مليتس لأننى عليك سؤالاً . هل تفكر
طويلاً في إصلاح الشباب ؟

— نعم ، إنى أفعل

— إذن فقل للقضاة من هو مصلح الشباب ، فأنت لا بد
عالم به مادمت قد عانيت آلاماً في اكتشاف بفسدهم ، فما أنت ذا
قد سقتنى الى القضاء منهما . تكلم إذن وقل للقضاة من هو مصلح
الشباب . مالى أراك يا مليتس لا تحير جواباً ؟ ! أليس هذا دليلاً
قاطعاً ، ضريراً بك ، يؤيد ما ذكرته من أن أمر الشباب لا يعنىك
في شيء ؟ تكلم يا صديق وحدثنا عن مقوم الشباب !

— هى القوانين

— ولكن ليست القوانين هى ما عنيت يا سيدي ، إنما
أردت أن أعرف ذلك الشخص الذى يحفظ القوانين قبل كل شيء

— هم من ترى فى المحكمة من قضاة يا سقراط

— ماذا تريد أن تقول يا مليتس ؟ أتمنى أن القضاة قادرين

على تعليم الشباب وإصلاحهم ؟

— لست أشك فى أنهم كذلك

— أكلهم كذلك ، أم بعضهم دون بعض

— القضاة جميعاً .

— قسا بالآلهة إن هذا خبر سار . إذن فهناك طائفة من

المصلحين ، وماذا تقول فى النظارة ؟ أم يصلحون الشباب ؟

— نعم هم يفعلون

— وأعضاء الشورى كذلك ؟

— نعم إنهم كذلك يصلحون

— ولكن قد يكون رجال الدين لهم مفسدين ؟ أم هم

كذلك يقومون الشباب ؟

— إنهم كذلك من المصلحين

— إذن فكل الأثينيين يصلحون الشباب ويرفون من

قدرهم ، ما عداى . فأنا وحدى الذى أفسدت الشباب . أهذا

ما أردت أن تقول ؟

صادقوا رجالاً ظنوا فى أنفسهم العلم ، فاذا بهم لا يملون إلا
قليلاً ، أو هم لا يملون شيئاً ؛ فلا يثبت هؤلاء الذين امتحهم
الشبان أن يصبوا على جام غضبهم ، وأنفسهم أحق بهذا الغضب ،
ويستزلون اللعنة على سقراط لأنه أقصد الشبان . فان سألتهم
سائل فى هذه اللعنة ، وأى جريرة أتى ، وأى رذيلة علم ، لما
حاروا جواباً ، لأنهم لا يعرفون لغضبهم شيئاً . ولكي يستروا
علائم الحيرة تراءم يبيدون التهم المعروفة التى قذف بها الفلاسفة
جميعاً ، من أنهم يملعون ما يتصل بالسحاب ، وما هو دين تحت
الثرى ، وأنهم كافرون بالآلهة ، وأنهم يلبسون الباطل صورة الحق ؛
والحقيقة أنهم جاهلون ويأبون الاعتراف بجهلهم المكشوف . ولما
كانت تلك الفئة كثيرة طامعة نشيطة ، وقد تصدوا جميعاً للترال
بما لهم من أسنة حداد تلعب بالنفوس ، فقد ملأوا أسماعكم بهذا
الاهتمام الباطل . وكان أن فاصبنى العداة هؤلاء المدعون الثلاثة :
مليتس ، وأينتس ، وليقون . فقد ناهضني مليتس ليمثل جماعة
الشعراء ، وأينتس ليمثل طبقة الصناع ، وليقون ليمثل الخطباء .
وإننى كما قدمت لا آمل فى أن أحو فى لحظة كل ما علق بى من
تهم باطلة . أبها الأثينيون ! لقد رويت لكم الحق كل الحق ،
لم أخف شيئاً ، ولم أشوه شيئاً ، ومع هذا فأنا أعلم أن صراحتى
فى الحديث ستصدكم عنى ، وما هذا الصد إلا برهان على أنى
أقول الحق . تلك هى دعواهم وذلك منشؤها ، ولن تسفر هذه
المحاكمة ولا أية محاكمة مقبلة عن غير هذا

حسبى هذا دفاعاً للفريق الأول من المدعين . وهانذا أتوجه

الآن بالحديث نحو الطائفة الأخرى وعلى رأسهم مليتس ، ذلك
الرجل الطيب ، الوطنى ، كما يقول عن نفسه . وسأحاول أن أدفع
عن نفسى ما اتهمنى به هذا الفريق الجديد . وجدير بنا أن نبدأ
بتلخيص دعواهم ، فاذا زعمون ؟ إنهم يقولون : إن سقراط
فاعل للرذيلة ، مفسد للشباب ، كافر بالآلهة الدولة ، وله معبودات
اصطنعها لنفسه خاصة . تلك هى دعواهم ، وسيلنا الآن أن
تناقشها تفصيلاً

أما الزعم بأنى فاعل للرذيلة مفسد للشباب ، فأنا أقرر أنها
الأثينيون عن هذا الرجل مليتس ، أنه هو صاحب رذيلة . ورذيلته
أنه يتفكك حيث يجب الجسد ، وهو لا يرى غضاضة فى أن يسوق

- وذلك ما أؤيده بكل قوتي

- بالبؤسى إذن إذ صح ما تقول ! . و لكنني أريد أن أسألك سؤالاً : أيصح هذا القول كذلك على الجياد ؟ أم يمكن أن يقدم لها الأذى فرد واحد ، بينما يقدم لها الخير العالم أجمع ؟ أليس ترى أن العكس هو الصحيح ؟ فرجل واحد يستطيع أن يعمل لها الخير ، أو قل هي فئة قليلة ، وأعني أن مروّض الجياد هو الذي يقدم لها الخير ، أما بقية الناس الذين يستخدمونها في عملهم فهم لها مسيئون . أليس هذا صحيحاً يا ملياتس بالنسبة إلى الجياد وكل أنواع الحيوان ؟ نعم ولا ريب ، سواء رضيت أنت وأنتيس أم لم ترضيا ، فذلك لا يعنيننا . اللهم أنهم بحياة الشبان لو كان عليهم مفسد واحد غصب ، وكانت بقية العالم لهم مصلحين . وأنت يا ملياتس ، لقد أقمت لنا الدليل ناصحاً على أنك لم تكن تنكر في الشبان ؛ فاهمالك إياهم واضح حتى فيما ذكرت في صحيفا الدعوى

- الآن يا ملياتس ، لا بد أن أسألك سؤالاً آخر : أيهما خير ، أن يكون أبناء وطنك الذين تعيش بينهم فاسدين أم صالحين ؟ أجب . يصح فذاك سؤال ميسور الجواب ! ألا يقدم الصالحون الخير لجيرانهم بينما يسعى اليهم الفاسدون ؟

- نعم ولا ريب

- وهل هناك إنسان يفضل أن يساء إليه على أن يُحسن إليه من يعيش بينهم ؟ أجب يا صديقي ، فالقانون يتطلب منك الجواب . أيجب أحد أن يصيبه الضرر ؟

- كلا ولا ريب

- وأنت حين تهمني بإفساد الشبان والحط من شأنهم ، أترعم أي أتعمد ذلك الافساد أم يجيء عن عفواً ؟

- أنا أترعم أنه إفساد مقصود

- ولكنك اعترفت الآن أن الرجل الصالح يقدم الخير لجيرانه ، وأن الفاسد يقدم لهم الشر ، أفترظن أن هذه الحقيقة قد أدركتها حكمتك البالغة وأنت لاتزال من الحياة في هذه السن الباكورة ، وأنا ، وقد بلغت من الكبر عتياً ، ما زلت أخطب في ظلام الجهول فلا أعلم أي أفسدت أولئك الذين أعيش بينهم فيقلب أن يصيبني منهم الضرر ؟ أفأكون عالماً بهذا ومع ذلك أفسدهم ،

وأفسدهم متممداً ؟ هذا ما تقوله أنت ، فلا أحببك مقنني به ولا مقنناً به كائننا من كان . إحدى اثنتين : إما أنني لا أفسد الشبان ، أو أنني أفسدهم عن غير عمد ؛ وسواء أفسدت هذه أم تلك فانت كاذب في كلتا الحالتين (١)

فان كانت جريمتي بغير عمد فلا يحاسب عليها القانون ، وكان خليفاً بك أن تسدي لي النصيح خالصاً ، عذراً ومؤثراً في رفق ولين ، فان انتصحت بك ، أقلمت ولا ريب عما كنت آتية بغير قصد ؛ ولكنك آيت لي نصحاً وتعليماً ، وآثرت أن تجيء بي متهماً في ساحة القضاء ، وهي محل العقاب لا مكان التعليم

لقد تبين لكم أيها الأثينيون أنه لا يعنيه أمر الشبان في كثير ولا قليل ، ولكنني ما زلت أود يا ملياتس أن أعرف منك قيم كان إصراري على إفساد الشبان ؟ لعلك تعني كما يبدو من اتهامك أنني حملتهم على إنكار الآلهة التي اعترفت بها الدولة ، ليقسموا في مكانها معبودات جديدة أو قوى روحانية . أليست هذه هي الدروس التي زعمت أنني أفسدت بها الشبان ؟

- نعم ، هذا ما أقوله وأؤكد

- إذن فقل لي يا ملياتس ، وقل للمحكمة في عبارة واضحة ،

أي آلهة أردت في دعواك ، لأنني حتى الساعة لا أفهم ما تأخذه علي . أكنت أعلم الناس الأعيان بآلهة معينة ؟ وإن كان هذا فهم مؤمنون بآلهة ما ، ولم أكن إذن كافرًا تمام الكفران . إنك لم تشر إلى ذلك في الدعوى واكتفيت بالقول أنها ليست نفس الآلهة التي تترف بها المدينة . ما تهمني ؟ أهي الدعوة إلى آلهة مخالفة أم تزعم أنني ملحد ومعلم للألحاد ؟

- أردت الأخيرة ، فأنت ملحد غاية الألحاد

- هذا قول عجيب لم نعهده يا ملياتس ، ماذا تعني به ؟ أليست

أؤمن بالآلهة الشمس والقمر ، وهي عقيدة سائدة بين الناس جميعاً ! - إني أؤكد لكم أيها القضاة أنه لا يؤمن بهما ، فهو يقول إن الشمس كتلة من الحجر ، وأن القمر مصنوع من تراب !

رُكي نجيب محمود

يتبع

(١) هذه إشارة إلى فلسفة سقراط في الفضيلة . وملخصها أن الفضيلة هي العلم ، فيمكن أن تعلم الخير لتعلمه ، فان وقع سوء من انسان يكن هذا دليلاً على جهله بالفضيلة لأنه يستحيل أن يعرفها ولا يصلها